مِنْ بُيُوتَاتِ الْعِلْمِ بِدِمَشْقَ

القِنْدِيلُ الأَخِيرُ

مِنْ آلِ الْقَاسِمِيِّ

الشَّيْخُ مُحَمَّد سَعِيد الْقَاسِمِيُّ الدِّمَشْقِيُّ

(١٣٤٥ - ١٤٤٠هـ)

حَفِيدُ عَلَّامَةِ الشَّامِ مُحَمَّد جَمَال الدِّين الْقَاسِمِيّ

بِقَلَم

مُحَمَّد بْن نَاصِر الْعَجْمِيّ

دار المقتبس

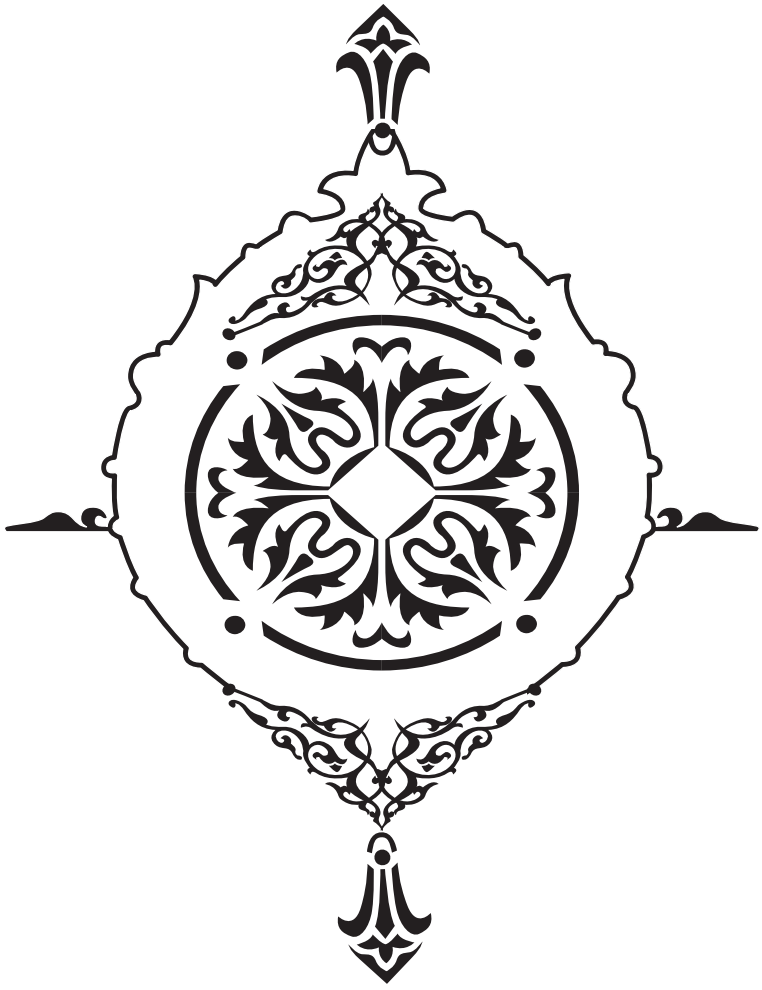

القِنْدِيلُ الأَخِيرُ

مِن آلِ القَاسِمِيِّ

الشَّيْخُ مُحَمَّد سَعِيد القَاسِمِيُّ الدِّمَشْقِيُّ

(١٣٤٥ ـ ١٤٤٠هـ)

دار المقتبس

مؤسسة ثقافية
تُعنى بالنشر والطباعة والتوزيع للكتاب العربي
أسسها نور الدين طالب سنة ١٤٣٤هـ-٢٠١٤م.

- سوريا - دمشق - الحلبوني
(ص. ب:34306)
00963933093781
00963933093782

- لبنان - بيروت - كورنيش المزرعة:
(ص . ب : 14/6759)
00961 70 81 33 77
00961 70 81 44 77

moqtabas
t . almoqtabas . com
f . almoqtabas . com
y . almoqtabas . com
i . almoqtabas . com
l . moqtabas . com

E _ mail : info@almoqtabas . com
Website :/http ://almoqtabas . com

جميع الحقوق محفوظة

إن جميع الحقوق لهذا الكتاب محفوظة بموجب عقد / أو/ اتفاق تم فيه إذن المؤلف / أو/ المحقق على نشره بجميع وسائل النشر، وعليه فيمنع إعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بجميع طرق النشر أو التصوير أو النقل أو الترجمة أو التسجيل المرئي أو المسموع أو استخدامه حاسوبياً بجميع أنواع الاستخدام سواء في برامج المكتبة الشاملة أو غيرها من البرامج الحاسوبية أو حفظه بصورة بي دي إف أو غير ذلك من صيغ ووسائل الحفظ والنشر المفتوح عبر الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، كما يمنع استخدامه بغير ذلك من الحقوق الفكرية والمادية إلا بإذن خطي من دار المقتبس، ومن تَعدَّى على أيِّ حق من ذلك تحمّل مسؤولية المحاسبة في الدنيا وعدم المسامحة في الآخرة، علمًا بأنه تم توفير وصول الكتاب بكل وسائل الشراء المتاحة المشروعة عبر الشحن الدولي الفردي أو الاستخدام الإلكتروني وفق العناوين المرفقة هنا.

الطبعة الأولى
١٤٤٢هـ-٢٠٢١م

لشراء نسخة ورقية من الكتاب عبر خدمة الشحن السريع

DHL TNT ups aramex delivery unlimited FedEx

مراسلة الواتساب التالي:
+961 70 831 155

لشراء نسخة إلكترونية مفتوحة للبحث النصي والنسخ:

App Store Google Play

نيلوفرات.كوم nwf.com

مِنْ بُيُوتَاتِ ٱلْعِلْمِ بِدِمَشْقَ

القِنْدِيلُ الأَخِيرُ

مِنْ آلِ ٱلْقَاسِمِيِّ

ٱلشَّيْخُ مُحَمَّد سَعِيد ٱلْقَاسِمِيُّ ٱلدِّمَشْقِيُّ

(١٣٤٥ ـ ١٤٤٠هـ)

حَفِيدُ عَلَّامَةِ ٱلشَّامِ مُحَمَّد جَمَال ٱلدِّين ٱلْقَاسِمِيّ

بِقَلَم

مُحَمَّد بْن نَاصِر العَجْمِي عفا الله عنه

دار المقتبس

بسم الله الرحمن الرحيم

صورة الغلاف:

لوحة بـاب الجامع الأموي الكبير في دمشق

وأصلها لوحة زيتية رسمها الرسام الألماني غوستاف اويرنفيند

سنة (١٣٠٧هـ ـ ١٨٩٠م)

وهي من دلالة الشيخ نور الدِّين طالب واقتراحه؛ فجزاه الله خيراً؛

وله الشكر المحبر المعطر على نشره للكتاب في داره العامرة.

تَقْدِيم

بِقَلَمِ ٱلْعَلَّامَةِ ٱلْأَدِيب

ٱلدُّكْتُور مُحَمَّد حَسَان ٱلطَّيَّان

الحمد لله على آلائه وقضائه وحسن بلائه، والصَّلاة والسَّلام على خاتم رسله وأنبيائه سيِّدنا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه وأصفيائه.

اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ.

وبعد، فلو قُيِّض لي أن أجمعَ كتاباً عن نوادر من لقيتُهم من العلماء والفضلاء لكان الشيخ أبو ناصر العَجْمي الكويتيّ في مقدمتهم، أدباً ولُطفاً.. وعلماً وفضلاً... وجوداً وكرماً... ونفعاً ونفحاً... وعطفاً وتحناناً!

وأنا ما زلتُ والله أَدْهَش لغزارة علمه.. وسعة اطِّلاعه.. وحضور محفوظه.. وكثرة تأليفه.. ونوادر معارفه لأكابر العلماء وفضلائهم وأشرافهم ونُبلائهم!

وَهلكُ الْفَتى أَن لَا يَـراح إِلَى النَّـدى وَأَن لَا يرى شَـيْئًا عجيبًـا فيعجبا

وكيف لا أعجب وهو يُطالعني كلَّ يومٍ بشوارد حفظه.. وكلَّ شهرٍ بنوادر معارفه... وكلَّ فصلٍ ببدائع تصانيفه وتحقيقاته... وكلَّ عامٍ بروائع عَشْرِهِ مع نُخبةٍ من المحققين الأفاضل في بيت الله الحرام.

وهو إلى هذا وذاك يضفي عليَّ من أُنسه ما يبدِّد عني كلَّ وحشة، ومن عطفه وتحنانه ما يشرح صدري ويملأ قلبي فرحاً ومسرَّةً، ومن حفاوته واحتفاله ما يفوق كل قِرًى، فكيف وهو الذي يَقري فيُحسِن القِرى

وكلُّ الصيد في جوف الفَـرا.

إن الحـــــديثَ جَانِـــــبٌ مِـــــنْ القِـــــرَى

وحـين طلـب إليَّ أن أُقـدم لكتابـه هـذا «القنـديل الأخـير مـن آل القاسمي» وجدتُـني أرقص طرباً وأختال تيهاً وفرحـاً، كيـف لا والكتـاب يتناول عَلَماً من أعلام الشَّام، وأنا مفتونٌ بأعلام الشَّام، فعليهم درستُ، وبهـم تخرجتُ، وفي مجالسهم نشأتُ وترعرعت، ومن علومهم نهلت وعَـلَلْت.

وإن تعجب فعجبٌ أني ـ برغم حبي لهم ومعرفتي بهـم ـ لم أكـن أعـرف هذا العَـلَـم لولا الشيخ أبو ناصر، فهـو الـذي كـان يُحـدثني عنـه كلـما زار دمشق، وقد دعاني ذات رحلةٍ دمشقية لصحبته في زيارةٍ له بحيِّ المهاجرين، وهناك لقيتُ العلم والأدب... والنُّبل والكرم والمجد والـسؤدد! ولا غـرو فالشيخ محمد سعيد سليلُ عائلةٍ شآمية مباركة انتهى إليهـا العلـم والأدب، وحازت المجد من أطرافه، وهي عائلة القاسمي التي أنجبت رجـالاً كـانوا ملء السمع والبصر، من أمثال إمام عصره ومُـصلح وقتـه العلّامـة الـمُحَدِّث والفقيه المفسِّر الشيخ جمال الدِّين القاسمي صـاحب التـصانيف الجليلـة في دنيا التفسير والفقه والحديث والأدب، وأبيه الشيخ محمد سـعيد القاسـمي صاحب «قـاموس الـصناعات الـشَّامية» وابنـه ظـافر ذي الحـضور الآسر والحديث الماتع والثقافة الموسـوعية وهـو صـاحب كتـاب «مكتـب عنـبر» ونقيب المحامين في دمشق الشَّام، وقد لقيته في مؤتمرٍ بكلية الآداب بجامعـة دمشق عام (١٩٨٢م) فما ترك محاضرة إلا وعقَّب عليها بأمتعِ تعـقيب، ولا تـرك متحدثاً إلا وعلَّـق عليه بأجمل تعليق، فكنَّـا والله نطـرب لتعليقـه أكثـر مـن طربنا للمحاضرة، وننتظر فراغ المحاضر لننعم بتعليق الأستاذ ظافر.

وأنا لا أعرف في دنيا النَّاس مـن عُـنِـي بتـراث هـؤلاء الأعـلام مـن

آلِ القاسمي وإخراجه للنَّاس في أجمل حلية عنايةَ الشيخ محمد بن ناصر العَجْمي، حَتَّى ليخال المرء أنه فرغ لآثارهم وتخصص بها فما يكاد يعدوها؛ إِذْ أخرج منها حتى الآن ما يزيد على خمسة عشر كتاباً، وما زال في جَعْبته الكثير!.

وأما هذا الكتاب فهو نَفْحةٌ جميلةٌ وذكرياتٌ شائقةٌ، يروي لنا فيها الشيخ العَجْمي قصته مع الشيخ محمد سعيد القاسمي حفيد الشيخ جمال الدِّين القاسمي ووريث مكتبته القاسمية ووريث علمه وفضله ونبله ومجده، من لدن عَرَفه حَتَّى توفاه الله جلَّ وعلا، وأنت تقرأ في هذه السطور تاريخَ جيلٍ من العلماء وقصص الكتب التي ألفوها والأسفار التي حققوها وأخرجوها، وتعرف كيف كان العلم يُؤخذ وكيف كان العلم يعطى، وتحيا مع أخلاق العلماء في تعاملهم وسلوكهم... وتسامحهم وتوادِّهم... وجودهم وعطائهم... وتتكشف لك أسرار وشجون وشؤون ما كان لك أن تعرفها لولا هذه الذكريات.

وحسبي هنا أن أُشير إلى ثلاثٍ من أهم مزايا هذه الذكريات:

أولاها: هذي الشواهد الشعرية العذبة التي لا تكاد تخلو صفحة منها، وهي تنبض بالحياة حَتَّى لكأن الشاعر ما قالها حين قالها إلا من أجل تلك المواقف التي ذكرها المؤلف في الكتاب.

وثانيها: تلك الحواشي التي زادت الكتاب فائدةً ومُتعة، وفيها ترجمةٌ لعلمٍ لا تجدها في أي كتاب للتراجم، أو ذكر حادثة طريفة، أو خبر موثوق، أو تعليق مفيد.

وثالثها: قسم الوثائق والصور، وهو يكاد يشطر الكتاب، ويشتمل على نوادر الرسائل وبدائع الخطوط ولطائف الإهداءات مع بعض الصور، والحقُّ أنه أدهشني بإحاطته بكل ما حوى الكتاب من ذكريات ومراسلات

ووصف وأخبار عن طباعة تفسير الإمام القاسمي المشهور «محاسن التأويل». وكأن المؤلف كان يعدُّ لكتابه هذا منذ أمدٍ بعيد! مما جعلني أسأله عن ذلك، ليأتيني الجواب ـ واعجباه ـ أنه لم يكن يدور في خَلَده أبداً أن يصنع مثل هذا الكتاب! فقلت في نفسي: ما شاء الله لا قوة إلا بالله على أيِّ علمٍ يطوي الشيخ أبو ناصر صدره؟ وعلى أيِّ كنزٍ يطوي خزائنه ومكتبته؟!

فلْيَهْنِك العلمُ أبا ناصر... ولْيَهْنِك صحبةُ العلماء..
ولْيَهْنِك الوفاءُ لهم... ولْيَهْنِك ما ادَّخرت لهذا الوفاء!

وزنده في الوفاء الثاقبُ الواري.

أسأل الله العظيم أن ينفع بعملك هذا كما نفع بسابقيه[1]، وأن يجعله ذخراً لك وزلفى عند الله يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ، وأسأله سبحانه أن يكشف عن الأمة هذا الوباء وهذه الغمة، إنه سميع مجيب، وبالإجابة جدير، والحمد لله رب العالمين.

أ. د. مُحَمَّد حَسَان ٱلطَّيَّان

أستاذ اللغة العربية في الجامعة العربية المفتوحة ـ الكويت

عضو مراسل بمجمع اللغة العربية بدمشق

الكويت الخميس ٩ شعبان ١٤٤١هـ ٢/ ٤/ ٢٠٢٠م

❐ ❐ ❐

(١) لما اتصلت بأخي العالم الأديب الأريب محمد حسان الطيان، وطلبت إليه أن يكتب كلمة لهذه الورقات لم يتردد لحظةً واحدةً كعادته معي:

مِراراً ما دَنَوْتُ إِلَيهِ إلا ... تَبَسَّمَ ضاحِكاً وَثَنَى الوِسادا
سَأَلْناهُ الكَثِيْرَ فَما تَأَبَّى ... فأَعْطَى فَوْقَ مُنْيَتِنا وَزادا
وأَحْسَنَ ثُمَّ أَحْسَنَ ثُمَّ عُدْنا ... فأَحْسَنَ ثُمَّ عُدْتُ لَهُ فَعادا

فجزاه الله سعادة الدَّارين.

تَقْدِيمُ بِقَلَمِ

العَالِمِ الجَلِيلِ جَوْهَرَةُ النَّدْوِيِّين

الدكتور محمد أكرم الندوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الكريم محمد النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإني محبوس في بيتي منذ شهر موقوفاً عن الجُمعة والجماعات، ومنقطعاً عن التدريس والمحاضرات، ومحجوزاً عن السفر واللقاءات، كانت الحوادث في الماضي تُلم بصقع من أصقاع الأرض، والمدلهمات تنزل في قُطْرٍ دون آخر، ولكن شهدنا في أيامنا هذه ما لم يخطر لنا ببال أن صار العالم كله رهين الفراش مُرغماً على عزلة لم يسبق لها مثال في تأريخ البشرية، الأسواق مُقفلة، والمنتزهات مهجورة، والشوارع خالية، وشواطئ البحار مقفرة، وكأن النَّاس كلهم رُهبان متبتلون في كهوف ومغارات، أو متصوفةٌ مُنزوون في الزوايا والتَّكايا.

واصلتُ الوحشة بحبل من الوداد طائعاً أو كارهاً إذ استلمت مسودة كتاب «القنديل الأخير من آل القاسمي: الشيخ محمد سعيد القاسمي الدمشقي حفيد علَّامة الشَّام محمد جمال الدِّين القاسمي» تأليف شيخنا

العلَّامة محمد بن ناصر العَجْمي، فصرفت وجهي عن تلك الوحشة مُفارقاً لها ولو لحين، وأقبلت على الكتاب أتصفحه وأُطالعه وأكرر قراءة فقرات منه مستطيباً لها ومتمتعاً بها، فكان خير مُؤْنس وأفضل صديق.

سرد المؤلف في الكتاب صلته بالشيخ محمد سعيد القاسمي وإعجابه به، مُستشهداً في ثناياه بأبيات شعرية هي من غُرر الكلام، ومُعلقاً على مواضع منه بحواشي هي من درر الفوائد، ومُوشحاً إيَّاه بوثائق تاريخية، وصور تذكارية بديعة أضفَتْ عليه جمالاً وبهاءاً، ومُتحلياً بمقدمة غراء دبجها يراع العلَّامة الأديب الدكتور محمد حسان الطيان.

وشيخنا العَجْمي مُتيَّم بالأعلام من آل القاسمي ولهِجٌ بتراثهم ومُنوه به أيما تنويه في غير ملل ولا سآمة، نقل إلى العَالم أحاديثهم وأخبارهم وأعمالهم، حافظاً بذلك مجداً يتوالى، وعلماً يتوارث، وأدباً يصطفى اصطفاءاً.

وما مُؤلف هذا الكتاب صديقاً لي فحسب أعلق به وبآثاره، بل هو شيخ لي آنس بآرائه وأستفيد من أفكاره، وهو فوق ذلك من النَّاصحين الأوفياء لا يألو جُهداً في نفعي والاهتمام بشأني وتوجيهي إلى ما فيه مصلحة لي أو غناء، فهو إذن من المُتمكنين من قلبي وعقلي، ومن المُتسربين إلى أحشائي، وله دور حيوي في وجودي، ولقد عرفته منذ زمن طال أو قَصُرَ، فأحببته ومنحتهُ من ذات نفسي، ورضيته أخاً وخليلاً وأُستاذاً ومُؤدباً، كلِفاً بما له من ضروب الشمائل والسجايا والأخلاق والآداب.

تصفحت الكتاب فإذا هو مفتتح بحديث شيق عن دمشق الفيحاء، وما أبرع استهلاله: «وهل توصف دمشق؟ وهل تصور الجنة لمن لم يرها؟ من يصفها؟ وهي دنيا من أمجاد البطولة ومعاهد العلم وروائع الخلود» ص٩.

ومن أراد شرح هذا الإجمال فعليه بكتاب «دمشق» للشيخ الأديب علي الطنطاوي رحمه الله تعالى، ولعلي لا أعدو طوري إذا اقتطفت منه قطعة «وبعد فأي مزاياك يا دمشق أذكر، وفيك الدِّين وأنت الدُّنيا، وعندك الجمال وعندك الجلال، وأنت ديار المجد، وأنت ديار الوجد، جمعت عظمة الماضي وروعة الحاضر»؟ ص١٤.

لها من الظَّرْفِ والْحُسْـ ـنِ زائدٌ يتجَدّدْ
فكلُّ حسْنٍ بديعٍ من حسنِها يتوَلّدْ

ويستمر المؤلف في وصف دمشق حَتّى يقول: «كيف وأشراف أهلها من أكرم النَّاس وأشدهم عطفاً على الغريب؟ وللعلماء الأجلاء المُخلصين فيها منزلة عند أهل دمشق ليس لأحد من أبناء الدُّنيا مثلها» ص١٠.

قلت: يا لها من كلمة صادقة، فإني لما زرت دمشق سنة (١٤٢٦هـ) ألفيتها كما نعتها، وسكنت إليها كما سكن إليها، فأهل دمشق رجالاً ونساءً مطبوعون على النُّبل والشَّرَفِ، والأريحية والكرم، معظمون للعلم والعلماء، متوارثون للكتب والآثار العلمية، أرباب المكتبات وخزائن المخطوطات العتيقة، ورأيت فيهم جمالاً ظاهراً وحُسناً باطناً، ولعل حسنهم الباطن يفوق جمالهم الظاهر، وآنست لهم مدنية متميزة بالنزاهة والطهارة وسمو الأخلاق ورفعة الآداب، فلا غرو أن تنعقد القلوب على محبة الشَّام وتُجمع النُّفوس على إجلال أهلها، وما اتجه إليها العلماء ولا نزل بها الصَّالحون، إلا وأقاموا فيها خير مقام، وأصبحوا بين أهلها كأهلها، لا ضيوفًا فيملوا، ولا غُرباء فيجفوا، وقيدت ذكريات تلك الرحلة في كتابي «أيام

في بلاد الشَّام».

وتعرض بعد ذلك للحديث عن مبدأ معرفته بالشيخ محمد سعيد القاسمي سنة (١٤١٨هـ)، وتوالت الزيارات واللقاءات حتى يقول: «وقد نشأت بيني وبين العم الأديب محمد سعيد القاسمي علاقة ودية أشبه ما تكون بين الأب وابنه، فكنت في سنوات خلت كلما حططت رحلي بدمشق الشَّام أقضي ثلاثة أرباع وقتي عنده، ولن أنسى تلك الساعات الطوال فيها ممتعاً نظري وكافة مشاعري في تلك المكتبة العتيقة» ص١٤.

وأصاب وما أخطأَ، فكان ابناً به باراً، وتلميذاً مدينا له بالفضل، وصديقاً له وفيّاً، وأصدر هذا الكتاب أداء لحقه، وأحسن بذلك إلى دمشق حَتّى لا تذهل عن أحد أبنائها الأفاضل ولا تغفله إغفالا.

والكتاب على لطافة حجمه مُفْعَمٌ بشغفِ المؤلف بآل القاسمي ومُصافاته لهم واعترافه بمحاسنهم، يرتفع بالقارئ إلى مقام يتساءل ويستطلع، ويستفسر ويستكشف، ثُمَّ يخرج منه ولم يقض وطره من الوقوف على مجد هذا البيت التليد في العلم والمعرفة، حريصاً على الاستزادة وطامعاً في الاستكثار، وهذه ميزة لكاتب قدير وُفِّق في عمله كل التوفيق، ورحم الله الشيخ الأديب محمد سعيد القاسمي ومن مضى من آل القاسمي من العلماء والأدباء، وأختم كلمتي هذه عن الكتاب بقول جرير[1]:

ما اسْتَوصَفَ النَّاسُ مِنْ شَيءٍ يَرُوقُهُمُ إِلّا أَرى أُمَّ عَمْروٍ فَوْقَ ما وَصَفُوا

(١) «ديوان جرير» (ص٣٠٥ ط دار بيروت).

كأنَّهـا مُزْنَـةٌ غَـرَّاءُ واضِـحَةٌ أو دُرَّةٌ لا يُوارِي ضَوْءها الصَّدَفُ

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على النبي الكريم وسلم[1].

وكتبه

محمد أكرم النَّدْوي

أوكسفورد

١٦ شعبان ١٤٤١هـ

❐❐❐

(١) أرسلت لأخي العَلَّامة محمد أكرم النَّدْوي نسخة من الكتاب ليطلع عليه، لما بيننا من محبة وأخوة بالغة؛ فإذا به يُفاجئني بهذه الكلمة الغالية العالية، وإني لعاجزٌ عن شكره على حسن ظنه وفضله عليَّ:

سأُثْني وإنْ لَمْ يبلُغِ القَولُ مَبْلغاً فإنَّ لسانَ الحالِ ليسَ بأعْجَمِ

ولو أنَّ شكراً مدَّ من صوتِ شاكرٍ لأسْمعتُ مَنْ بينَ الحطيمِ وزَمْزَمِ

الحمد لله ذي العزة والبقاء، له الحمد على سوابغ أفضاله؛ فهو أهل الحمد والثناء، وصلى الله على أفضل الأنبياء، وسيد الأصفياء، وعلى آله وصحبه السَّادَةِ الغُرِّ النُّجباءِ، صلاةً دائمةً إلى يوم العرض على ربِّ الأرض والسماء.

أما بعد:

فقد كان من فضل الله عليَّ ـ ولله الحمد ـ أن أكرمني بزياراتٍ متكررةٍ لدمشقَ، عاصمة الأمويين، وموطنِ العلماء الأماثل، ورُحلةِ الأئمةِ الأوائل:

آمنتُ بالله واسْتَثْنَيْتُ جَنَّتَهُ ... دِمشقُ روحٌ وجَنَّاتٌ وريحانُ

وهل توصف دمشق؟ وهل تُصوَّر الجنةُ لمن لم يَرَها؟ من يصفها وهي دُنيا من أمجاد البطولة ومعاهد العلم وروائع الخلود[1]؟

---

(١) لما ألف الحافظ الكبير ابن عساكر (٤٩٩ ـ ٥٧١هـ) «تاريخه الكبير» سماه: «تاريخ مدينة دمشق حماها الله، وذكرُ فضلها، وتسميةُ مَنْ حَلَّها من الأماثل، أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها»، عنوانٌ أشبهَ ما يكونُ بقصيدةٍ يتيمةٍ.

نزلْنا بها فاستوقفتْنا محاسنٌ يَحِنُّ إليها كُلُّ قَلْبٍ ويَهواها

كيفَ وأشرافُ أهلها من أكرم النَّاس، وأشدهم عطفاً على الغريب؟ وللعلماء الأجلاء المُخلصين فيها منزلةٌ عند أهل دمشقَ ليس لأحد من أبناء الدُّنيا مثلها[1].

فَسَقَى اللهُ رَبْعها كُلَّ غَيْثٍ وحمى اللهُ أهلها وحَماها

حقاً إنَّ لدمشقَ سحراً لا يعادل أثرَه في النفس أثرٌ، فهي «السِّحرُ والشِّعر»[2]، وكنت إذا ارتدتها أسعى إلى مكتبتها ودور العلم فيها، فضلاً عن علمائها وأجلَّاء شيوخها.

(١)

وكان من تقدير الله عزَّ وجلَّ أن تعرفت على الأستاذ المفضال المربي محمد عدنان الجَوْهرجي ـ أحد خُبراء المخطوطات ونوادر المطبوعات ـ، تلميذ العالم الشهير أحمد عُبيد، أستاذ الوراقين والكتبيين بدمشق[3].

---

(١) انظر كتاب «دمشق صورٌ من جمالها» لأديب العصر الوالد الشيخ علي الطنطاوي (ص٧، ١٤).

(٢) هذا عنوانُ كتابٍ لرئيس «المجمع العلمي العربي بدمشق» العلامة «محمد كرد علي»، وهو مطبوع.

(٣) كتب الأستاذ محمد عدنان الجوهرجي مقالة عن أستاذه أحمد عُبيد بعنوان: «أحمد عبيد بُنيانُ قومٍ تهدَّمَا»، ذكر في هذا المقال صِلته به من القديم، منذُ الستينيات الميلادية، وأنه من أقرب النّاس إليه، وقد اقتبس من فوائده، وأنه كان يُعَرِّفَهُ قَدْرَ النَّوادرِ من المطبوعات، ويكشف له عن غوامض المخطوطات، مما =

فكان نِعْمَ الدَّالَّ على نوادر الكتب، خصوصاً ما أطلبه وأبتغيه؛ وهو كل كتاب يَخُصُّ دمشقَ المحروسة: علماءَها، ومدارسَها وجوامعَها ومعاهدَها وخُططَها وأبوابَها وكافةَ ما يتعلق بها حتى ورودها!

وكنتُ بحثت عن كتابٍ حول مَعْلمٍ علميٍّ فيها، فلم أجدْه مع كثرة سؤالي عنه، وسببُ ندرته أنه طبع في بيروت في (المطبعة الكاثوليكية)، ذلك هو كتاب «**مكتب عنبر صُور وذكريات**» لظافر ابن العلَّامة جمال الدِّين القاسمي.

فسألت عنه الأستاذ الجَوْهرجي، فقال لي: منذ فترة لم أقفْ عليه، ولم أَرَهُ، ولكن ما رأيك أن نزورَ ابنَ أخيه الأستاذ محمد سعيد القاسمي وتأخذَه منه مباشرة؟ فَصَمَتُّ قليلاً؛ إِذْ لم يكن في خَلَدي أن ألتقيَ بأحد من آل القاسمي.

قلت له، وأنا في غاية الفرح والسرور ـ وكان ذلك صباحاً ـ: ومتى؟

قال لي: عصرَ هذا اليوم، سأتصل به ليأذنَ لنا بالزيارة، فحصل الاتصال، وتثبَّتَ الموعد.

= يلحق بها من عنوان تَصَحَّفَ أو تَحَرَّف، أو اسم مؤلف مجهول أو مُزيَّف، وقد نُشرت هذه المقالة في «مجلة البصائر»: العدد (١٥)، هذا وقد رأيت مقالاً آخر للأستاذ الجوهرجي في مجلة «البصائر»: العدد (١٨) بعنوان: «كتابة المصاحف ومشاهير الخطاطين».

فجمعتُ نفسي، وجهَّزتُ بعض ما لديَّ من كتب حقَّقتها لأقدِّمَها للأستاذ العمِّ محمد سعيد القاسمي، وأنا لا أدري هل سَأُكرر الزِّيارة له، أم يُهديني كتابَ عمِّه ظافر القاسمي «**مكتب عنبر**» ثُم لا أعود إليه؟

وقُبيل الموعد ذهبت أنا والأستاذ الجَوْهرجي إِلى حيِّ المُهاجرين في سفح قاسيون في محلة الشطا، جادة «جامع المرابط».

فطرقنا الباب، فخرج علينا شيخٌ جليلٌ مشرقُ الوجه مرحِّباً أجملَ ترحيب:

وضياءُ وجهٍ لو تأمَّلَهُ امرؤٌ صادي الجوانحِ لارتوى مِن مائِهِ

إنه العمُّ الأديب أبو الضياء محمد سعيد القاسمي، وأدخلَنا مباشرة إلى «المكتبة القاسمية»؛ فتنسَّمتُ فيها عَبَقَ علماءِ آلِ القاسمي، وعلى رأسهم الجمال القاسمي:

وأطيبُ الروائحِ المستنشَقَهْ نكهةُ مَنْ تهوى فتلكَ العبقهْ

فتحدثنا معه بأجمل حديث، وتلفَّتُّ يَمنةً ويَسرةً، فإذا أنا في جوِّ مكتبة عتيقة أصيلة أصلية، وزيَّنَها وجودُ مؤلفات الإمام الجمال القاسمي:

واهاً لريحِ المكتَبَهْ واهاً لهُ ما أَعْذَبَهْ

ثم قدَّم لي العمُّ الأديب محمد سعيد القاسمي كتابَ عمِّه ظافر القاسمي «مكتب عنبر» بلطف وأدب؛ وكتب عليه بخطه ما يلي:

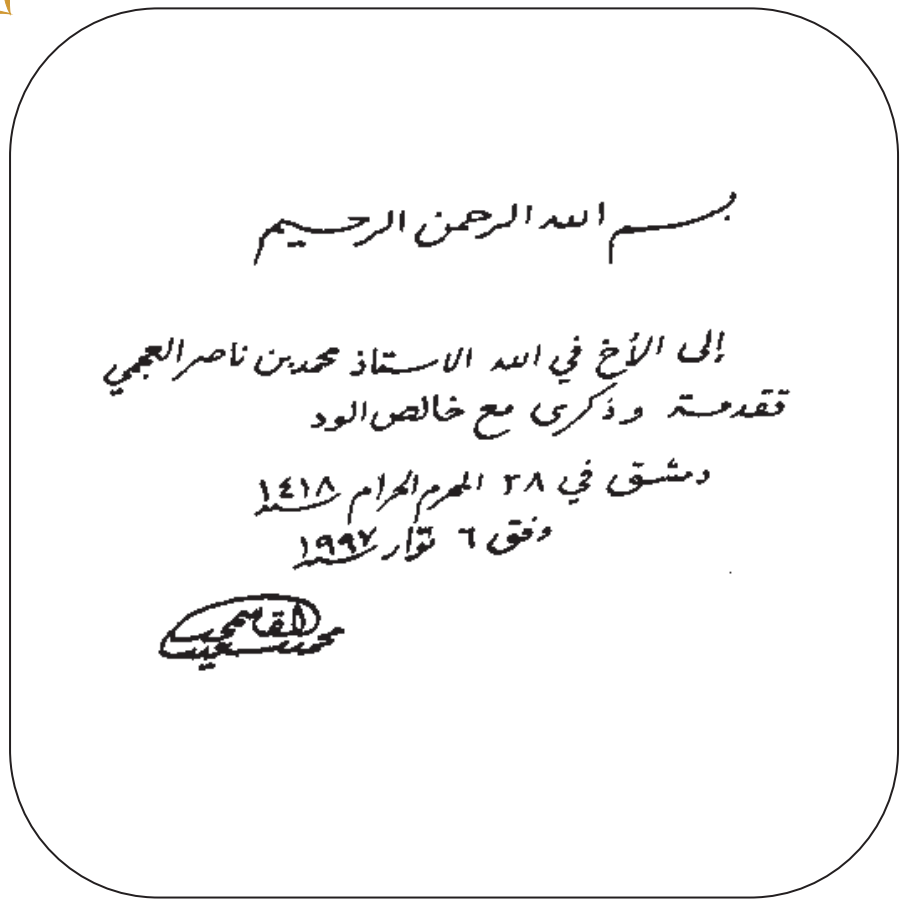
بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الأخ في الله الاستاذ محمد بن ناصر العجمي
تقدمته وذكرى مع خالص الود
دمشق في ٢٨ المحرم الحرام ١٤١٨
وفق ٦ تموز ١٩٩٧

وبعد هذا صرتُ إلى ما قالَ الشاعر:

تـزودْتُ مِـن لـيلى بتكلـيمِ سـاعةٍ فـما زادَ إلَّا ضـعفَ مـا بي كلامُهـا

ثُمَّ أعطيت العـمَّ محمـدَ الـسعيدِ دفـتراً صغـيراً كـان بيـدي ليكتـبَ لي هاتفـه وعنـوان المنـزل؛ فكتب ذلك بخطِّـه الفارسي الرائـق، وكـان يـوماً من أيام الله:

سقى اللهُ ذاكَ اليومَ ما كانَ في الحِمَى ألـذُّ لقلبـي منـهُ إِذْ للمُنـى يحـدو

ثُمَّ في نفس تلك الرحلة زرته مَرَّةً تلـوَ مـرَّةٍ أقلِّـبُ الطَّـرْفَ في كتـب

الجمال القاسمي[1]:

يـــاربِّ إِنِّي بـــ «الجـــمالِ» مُولَّـــعٌ ما ذنبُ قلـبٍ بـــ «الجـمال» تولَّعـا

(٢)

ثُم رحلت إليه مَرَّة أخرى بعـدَ أن فتحَ لي قلبَـه، وبيتَـه العامـرَ الـذي في بداية مدخله المكتبةُ القاسميةُ، المشتملـةُ علـى الكثير من مصنفات القاسمي.

وقد نشأت بيني وبين العمِّ الأديب محمد سعيد القاسمي عَلاقةٌ وديـةٌ أشبهُ ما تكون بين الأب وابنه؛ فكنت في سنواتٍ خَلَتْ كلَّما حططتُ رَحـلي بدمشقَ الشَّام أقضي ثلاثةَ أرباعِ وقتي عنـدَه؛ ولـن أنـسى تلـك الـساعاتِ الطِّوالَ فيها ممتِّعاً نظري وكافةَ مشاعري في تلك المكتبة العتيقة، ولو قسمتُ تلك الساعاتِ التي قضيتها فيها لكان منها أيامٌ كثيرةٌ.

وكانت تلك الزِّيارات إليه بالمواعيد من الكويت إلى دمـشق، فكنـت أخـبره بوصـولي، فيحـدِّدُ لـي أقـربَ وقـت، وأسألـه: مـاذا يريـد مـن الكويت؟ فيقـول لـي: ما صدر من «تاج العروس» للإمام الزَّبيـدي؛ فإنـه كان يصدر مُنجَّماً؛ فكان يفرح به إذْ كان عنده من قبـلُ مجموعـةٌ وافـرةٌ مـن أجزائه.

---

(١) في زيارتي للمغرب الأقصى الحبيب برفقة أخي العلَّامة الشيخ نظام يعقـوبي في جمادى الأولى (١٤٤١هـ)، كان في استقبالنا أخي العـالمُ الطُّلَعَـةُ الـشيخُ خالـد السباعي، وكانت أياماً جميلةً في هاتيك الدِّيار الغاليـة، فكنـتُ إذا ذكـرت العلَّامـة جمال الدِّين القاسمي أو ذكرتُ بعض مصنفاته، سمعتُ الشيخ خالداً يرفـع صـوتَهُ بهذا البيت، فقلتُ له: في أقرب مناسبة عن العلَّامة القاسمي لأضعنَّ هذا البيت.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
* **تقديم** بقلم العلامة الأديب الدكتور محمَّد حسان الطَّيَّان	٥
* **تقديم** بقلم العالم الجليل جوهرة النَّدويين الدكتور محمد أكرم النَّدوي	٨أ
* **مقدمة**	٩
١ ـ اللقاء الأول وكتاب مكتب عنبر	١٠
٢ ـ اللقاءات المتتالية وإصدارات الكتب	١٤
٣ ـ أعمال حول الأسرة القاسمية	١٦
٤ ـ المقروءات على القاسمي	١٦
٥ ـ المستشار سميح الغبرة	١٧
٦ ـ زيارات أهل العلم وطلابه للمكتبة القاسمية	٢٢
٧ ـ آثار المكتبة القاسمية	٢٤
٨ ـ عصام الملَّاح وخبر تجليد كتب القاسمي	٢٦
٩ ـ أسرة محمد السعيد القاسمي	٢٧

الموضوع	الصفحة
١٠ ـ الحج بالنيابة عن الجمال القاسمي	٣٠
١١ ـ بيت آل القاسمي	٣٠
١٢ ـ ختام الذكريات	٣١
١٣ ـ تفسير محاسن التأويل وقصة طباعته	٣١
* رسالة محمد بهجة الأثري	٣٩
* رسالة أبو اليسر عابدين	٤٠
* رسالة محمد سعدي ياسين	٤١
* رسالة عبد الفتاح أبو غدة	٤٢
١٤ ـ وفاة محمد سعيد القاسمي	٤٦
١٥ ـ خلاصة ترجمة العم محمد السعيد	٤٧

صور ووثائق

ـ **صورة** كتاب مكتب عنبر	٥١
ـ **صورة وثيقة** صور المكتبة القاسمية بدمشق، يبدو فيها رسم العم محمد سعيد القاسمي في شبابه	٥٢
ـ **صورة وثيقة** صورة للمكتبة من واجهة أخرى	٥٣
ـ **صورة وثيقة** صورة للمكتبة القاسمية أيضاً	٥٤
ـ **صورة وثيقة** الصفحة الثانية من تقريظ العم محمد سعيد القاسمي لـ «الرسائل المتبادلة بين القاسمي والألوسي» بخطه	٥٥

الموضوع	الصفحة
ـ **صورة وثيقة** صورة تقريظ العم محمد سعيد القاسمي لكتاب «إمام الشام في عصره جمال الدِّين القاسمي» بخطه	٥٦
ـ **صورة وثيقة** تقديم العم محمد سعيد بخط يده لرسالة «آداب الدارس والمدرس»	٥٧
ـ **صورة وثيقة** قيد القراءة من تفسير الجمال القاسمي على العم الشيخ محمد سعيد وكتابته ذلك بخطه	٥٨
ـ **صورة وثيقة** قيد قراءة على العم محمد سعيد لكتاب «الفضل المبين» وتقييد ذلك بخطه.....	٥٩
ـ **صورة وثيقة** إهداء من العم محمد القاسمي بخطه وذلك الإهداء هو لكتابي «آل القاسمي»	٦٠
ـ **صورة وثيقة** إهداء العم محمد سعيد كتاب «الرسائل المتبادلة بين القاسمي والألوسي» لراقمه بخطه	٦١
ـ **صورة وثيقة** قيد قراءة لجزء ابن طولون «الأحاديث المسموعة في جوامع دمشق وضواحيها»، على العم الشيخ محمد سعيد القاسمي	٦٢
ـ **صورة وثيقة** إهداء بخط العم محمد سعيد القاسمي بخطه	٦٣، ٦٤
ـ **صورة وثيقة** هدية من الطبيب الدكتور عزة مريدن بواسطة العم محمد سعيد القاسمي	٦٥
ـ **صورة وثيقة** عنوان كتاب الإمام القاسمي الذي أثنى عليه الطبيب عزة مريدن	٦٦

الموضوع	الصفحة
ـ صورة وثيقة ختام «ما قاله الأطباء المشاهير» بخط مؤلفه الإمام القاسمي	٦٦، ٦٧
ـ صورة وثيقة نموذج من خط الشيخ محمد ضياء الدِّين القاسمي والد العم محمد سعيد	٦٨
ـ صورة وثيقة إهداء من القاضي سميح الغبرة بخطه	٦٩
ـ صورة وثيقة إهداء القاضي المستشار سميح الغبرة بخطه	٧٠
ـ صورة وثيقة نموذج من رسائل القاضي المستشار سميح الغبرة، سبط الجمال القاسمي إليَّ بخطه	٧١
ـ صورة وثيقة رسالة من محمد كمال ابن الشيخ أحمد القاسمي	٧٢
ـ صورة وثيقة نموذج من خط الشيخ أحمد بن محمد القاسمي ابن عم الإمام الجمال القاسمي	٧٣
ـ صورة وثيقة نموذج آخر بخط الشيخ أحمد القاسمي	٧٤
ـ صورة وثيقة عنوان «سفينة الفرج» لمؤلفها محمد سعيد ـ بخطه ـ والد العلامة الجمال القاسمي (من المكتبة القاسمية)	٧٥
ـ صورة جزء من رسالة «تحف النتف» للإمام القاسمي بخطه	٧٦ـ٧٩
ـ صورة وثيقة جزء من مخطط دمشق قدمه الأستاذ محمد عصام الملَّاح	٨٠
ـ صورة وثيقة مقدمة تفسير القاسمي «محاسن التأويل» بخطه محفوظ في المكتبة القاسمية بدمشق	٨١

الموضوع	الصفحة

ـ صورة وثيقة عنوان تفسير القاسمي الذي كان يهيِّئه ابنه ضياء الدِّين للطبع ٨٢

ـ صورة وثيقة رسالة الشيخ محمد بهجة الأثري بخطه ٨٣

ـ صورة وثيقة صورة رسالة المفتي أبو اليسر عابدين ٨٤

ـ صورة وثيقة رسالة من الشيخ محمد سعدي ياسين إلى الشيخ محمد بهجة البيطار وهي بخط العم الشيخ محمد سعيد القاسمي ٨٥

ـ صورة وثيقة رسالة من العلَّامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة بخطه ٨٦

ـ من مذكرات الإمام القاسمي بخط العم محمد سعيد القاسمي ٨٧ـ٩٠

ـ صورة وثيقة تقريظ للشيخ الشاعر المؤرخ أحمد بن غنام الرشيد لكتاب «آل القاسمي» بعد صدوره ٩١

ـ صورة وثيقة كيف طبع تفسير القاسمي بخط محمد سعيد ٩٣ـ٩٦

ـ صورة وثيقة الشيخ حامد التقي شيخ العم محمد سعيد القاسمي ٩٧

ـ صورة وثيقة محمد سعيد القاسمي، حفيد جمال الدين في مكتبته وبيده أحد كتب جده القاسمي ٩٨

ـ صورة وثيقة أخرى له في مكتبته العامرة ٩٩

* فهرس الموضوعات ١٠١

❐❐❐

صور المكتبة القاسمية بدمشق،
يبدو فيها رسم
العم محمد سعيد القاسمي
في شبابه

بسم الله الرحمن الرحيم

كيف طبع تفسير القاسمي (محاسن التأويل)

في أوائل شهر جمادى الآخرة من عام ١٢٧٥ هجرية (وفق منتصف الشهر الأول من عام ١٩٥٦ م.) هاتفني العم الظافر - رحمه الله تعالى - في الضهرة الكبرى، يدعوني للحضور إلى مكتبه بدمشق - الكائن في بناء القدسي بشارع سعد الله الجابري شمالي محطة الحجاز، وشرقي بناء المديرية العامة للبريد والبرق والهاتف - للبحث في أمر هام جداً.

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الأخ الحبيب، وابن الأخ الحبيب،

أقدم هذا الكتاب عربون صداقة ومحبة، على ما بذلت من الجهد، وما قدمت من الفضل، فجزاك المولى تعالى عن آلنا خير الجزاء، ووفقك للمضي في مسيرتك النيرة، ومتابعتك رسالة الخيرة، وحفظك لآليك وإخوانك وأصدقائك ودمت للمحب

محمد سعيد القاسمي

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الأخ في الله، وابن أخي الكريم،
الأستاذ الفاضل، والمحقق العامل، فضيلة:
الشيخ محمد بن ناصر العجمي، يحفظه المولى تعالى وآله،
تقدمته وذكرى...

دمشق ليلة الخميس لتسع بقين
من صفر الخير سنة ١٤٢١

من محبه حفيد المترجم
محمد جمال الدين القاسمي

محمد سعيد القاسمي